



السؤال 49: ما صحة الحديث الذي يقول بأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه؟

جواب الدكتور محمد خرشافي (في 28 شتنبر 2009) :

الأحاديث الواردة في تعذيب الميت ببكاء أهله عليه وغيرها مما يساعد على فهمها :

1 - حديث **عمر بن الخطاب** : عن أبي موسى الأشعري، قال : لما أصيب عمر رضي الله عنه جعل صهيب يقول : وا أخاه، فقال عمر : أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **إن الميت ليعذب ببكاء الحي**"¹.

2 - وروى الإمام مسلم في صحيحه عن، أن عمر بن الخطاب، لما طعن عولت عليه حفصة، فقال : يا حفصة أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **المعول عليه يعذب** ؟" وعول عليه صهيب، فقال عمر : يا صهيب أما علمت " أن المعول عليه يعذب"؟²

3 - حديث **عبد الله بن عمر** : (عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، قال : توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها وحضرها ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما، وإني لجالس بينهما - أو قال : جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي - فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعمر بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**"، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك، ثم حدث، قال : صدرت مع عمر رضي الله عنه من مكة، حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة، فقال : اذهب، فانظر من هؤلاء الركب، قال : فنظرت فإذا صهيب، فأخبرته فقال : ادعه لي، فرجعت إلى صهيب فقلت : ارتحل فالحق أمير المؤمنين، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول : **وا أخاه، وا أصحاباه**، فقال عمر رضي الله عنه : يا صهيب، **أتبكي علي**، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه**"، قال ابن عباس رضي الله عنهما : فلما مات عمر رضي الله عنه، ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فقالت : رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه**"، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه**"، وقالت : حسبكم القرآن : {ولا تزر وازرة وزر أخرى}³ قال ابن عباس رضي الله عنهما : " عند ذلك والله هو أضحك وأبكى" قال ابن أبي مليكة : " والله ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيئا"⁴ مسألة في قول ابن أبي مليكة : " والله ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيئا".

يظهر من هذه العبارة أن ابن عمر قبل ما قالت عائشة، قلت ولكن هذا غير لازم، ولهذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد ذكر هذه العبارة الواردة في هذا الحديث : (قوله : (مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ شَيْئًا) قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ : سَكُوتُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى الإِدْعَانِ فَلَعَلَّهُ كَرَهُ المُجَادَلَةَ فِي ذَلِكَ المَقَامِ)⁵.

¹ صحيح البخاري - كتاب الجنائز. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " يعذب الميت - حديث : 1241.

² صحيح مسلم - كتاب الجنائز. باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه - حديث : 1593.

³ وردت في عدة سور منها سورة فاطر الآية : 18؛ ونص الآية : { وَكَأَن تَزُرُّ وَازِرَةٌ وَازِرَةٌ وَزُرَّتْ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِمْلَتِهَا لَأُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) } [فاطر : 18]

⁴ صحيح البخاري - كتاب الجنائز. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " يعذب الميت - حديث : 1239.

⁵ فتح الباري 160/3.



- 4 - عن **عبد الله بن عمر**، أن حفصة بكت على عمر، فقال : مهلا يا بنية ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ قال : **" إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه "** ⁶
- 5 - عن **ابن عمر**، قال : لما طعن عمر أغمي عليه، فصيح عليه، فلما أفاق، قال : أما علمتم أن رسول الله ﷺ، قال : **" إن الميت يعذب ببكاء الحي "** ⁷
- 6 - حديث **عائشة** : عن عروة بن الزبير؛ أنه قال : ذكر عند عائشة رضي الله عنها، أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ : **" إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله "** فقالت : وهل ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : **" إنه يعذب بخطيئته وذنبه، وإن أهله ليكون عليه الآن "**، قالت : وذلك مثل قوله : إن رسول الله ﷺ قام على القلب وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم ما قال : **" إنهم ليسمعون ما أقول "** إنما قال : **" إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق "**، ثم قرأت : **{ إِنَّكَ لَأُتْمَعُ الْمَوْتَى }** [النمل:80]، **{ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمَعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) }** [فاطر:22] يقول حين تبوءوا مقاعدكم من النار ⁸.
- 7 - عن عروة بن الزبير، قال : ذكر عند **عائشة** قول ابن عمر : الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت : رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئا فلم يحفظه، إنما مرت على رسول الله ﷺ جنازة يهودي، وهم يبكون عليه، فقال : **" أنتم تبكون، وإنه ليعذب "** ⁹
- 8 - حديث **المغيرة بن شعبة** : (عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَيَّ أَحَدٍ؛ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَنْبَوُا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ"). ¹⁰
- 9 - رَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبِكَاءِ الْحَيِّ، إِذَا قَالُوا : وَآ عَضْدَاهُ، وَآ كَاسِيَاهُ، وَآ نَاصِرَاهُ، وَآ جِبَلَاهُ، وَنَحْوَ هَذَا، يُنْتَعَجُ -أَي يَفْلِقُ وَيَزْجَعُ وَيَجْرُ بِشِدَّةٍ- وَيُقَالُ : أَنْتَ كَذَلِكَ ؟ أَنْتَ كَذَلِكَ ؟) قَالَ أُسَيْدٌ : فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى). قَالَ : وَيَحْكُ ! أَحَدْتُكَ أَنْ أَبَا مُوسَى حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَرَى أَنَّ أَبَا مُوسَى كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؟! أَوْ تَرَى أَنِّي كَذَبْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى؟! ¹¹
- 10 - وروى الترمذي عن أسيد بن أبي أسيد، أن موسى بن أبي موسى الأشعري، أخبره، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ، قال : **" ما من ميت يموت فيقوم باكيه، فيقول : واجبله واسيداه أو نحو ذلك، إلا وكل به ملكان يلهزانه : أهكذا كنت ؟ "** ¹² هذا حديث حسن غريب ¹²
- 11 - عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال : أغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي واجبله، واكذا واكذا، تعدد عليه، فقال حين أفاق : **" ما قلت**

⁶ صحيح مسلم - كتاب الجنائز. باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه - حديث : 1587.

⁷ صحيح مسلم - كتاب الجنائز. باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه - حديث : 1590

⁸ صحيح البخاري - كتاب المغازي . باب قتل أبي جهل - حديث : 3779

⁹ صحيح مسلم - كتاب الجنائز . باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه - حديث : 1597

¹⁰ فتح الباري مع متن البخاري كاملا ابن حجر (3 / 160) ح : 1291.

¹¹ سنن ابن ماجه (1594)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

¹² سنن الترمذي الجامع الصحيح - أبواب الجنائز عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت

- حديث : 960.



شيئا إلا قيل لي : أنت كذلك" ¹³ حدثنا قتيبة، حدثنا عبثر، عن حصين، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، " قال أغمي على عبد الله بن رواحة بهذا فلما مات لم تبك عليه" ¹⁴

12 - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال : اشتكى سعد بن عباد شكوى له، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال : " قد قضى " قالوا : لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال : " ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه". ¹⁵

13 - عن أسامة، قال : كان ابن لبعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم يقضي ¹⁶، فأرسلت إليه أن يأتيها، فأرسل " إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب"، فأرسلت إليه فأقسمت عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقمت معه، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت، فلما دخلنا ناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تفلقل في صدره - حسبته قال : كأنها شنة - فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سعد بن عباد أتبكي، فقال : " إنما يرحم الله من عباده الرحماء ". ¹⁷

14 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين، وكان ظئرا ¹⁸ لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم، فقبله، وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ¹⁹، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : " يا ابن عوف إنها رحمة"، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم : " إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون". ²⁰

إن الناظر في هذه الأحاديث يخلص إلى الاتي :

أن حديث : إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه رواه جمع من الصحابة، بل إنه من الأحاديث التي عدها جماعة من المحدثين من قسم الحديث المتواتر، فهذا محمد بن جعفر الكتاني ذكر أن عدد الصحابة الذين رووا هذا الحديث أحد عشر صحابيا. ²¹

¹³ هذا سبيل الإنكار من كون ما نسب إليه ليس فيه، كما هي عادة من ينوح على الميت؛ فإنه يصف بما فيه من الأمجاد وبما ليس فيه؛ على سبيل المبالغة في تعداد المناقب.

¹⁴ صحيح البخاري - كتاب المغازي. باب غزوة مؤتة من أرض الشام - حديث : 4032، وكذا المستدرک على الصحيحين للحاكم - كتاب المغازي والسرايا. حديث : 4298

¹⁵ صحيح البخاري - كتاب الجنائز. باب البكاء عند المريض - حديث : 1255، وكذا مسلم في صحيحه - كتاب الجنائز. باب البكاء على الميت - حديث : 1583

¹⁶ يقضي : يحتضر في النزع الأخير.

¹⁷ صحيح البخاري - كتاب التوحيد. باب ما جاء في قول الله تعالى : إن رحمة الله - حديث : 7031

¹⁸ الظئر : المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضا.

¹⁹ وعيناه تذرفان : تسيل منهما الدموع.

²⁰ صحيح البخاري - كتاب الجنائز. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إنا بك - حديث : 1254

²¹ انظر : "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" لمحمد بن جعفر الكتاني ص:128.



وقال الإمام القرطبي :

((مسألة: نزعت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية في الرد على ابن عمر حيث قال: " إن الميت ليعذب ببكاء أهله". قال علماؤنا: وإنما حملها على ذلك أنها لم تسمعه، وأنه معارض للآية. ولا وجه لإنكارها، فإن الرواة لهذا المعنى كثير، كعمر وابنه والمغيرة بن شعبة وقيلة بنت مخزومة، وهم جازمون بالرواية، فلا وجه لتخطئتهم. ولا معارضة بين الآية والحديث، فإن الحديث محمله على ما إذا كان النوح من وصية الميت وسنته، كما كانت الجاهلية تفعله، حتى قال طرفة: إذا مت فاتعيني بما أنا أهله ... وشقي على الجيب يا بنت معبد وقال:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر)).²²
أما أبو حفص عمر بن عليّ الدمشقي فيقول في كتابه: " اللباب في علوم الكتاب "

:
((والجواب أنه يجب قبول أن الحديث لا يمكن رده ؛ لثبوته وإقرار أعيان الصحابة له على ظاهره.

وعائشة - رضي الله عنها - لم تخبر أن النبي ﷺ نفى ذلك، وإنما تأولت على ظاهر القرآن، ومن أثبت وسمع حجة على من نفى وأنكر .
وظاهر القرآن لا حجة فيه ؛ لأن الله - تعالى - نفى أن يحمل أحد من ذنب غيره شيئاً، والميت لا يحمل من ذنب النائحة شيئاً، بل إنم النوح عليها، وهو قد يعذب من جهة أخرى بطريق نوحها، كمن سنّ سنة سيئة، مع من عمل بها، ومن دعا إلى ضلالة، مع من أجابه .

والحديث الذي روته حديث آخر لا يجوز أن يردّ به خبر الصادق ؛ لأنّ القوم قد يشهدون كثيراً ممّا لا تشهد، مع أن روايتها تحقّق ذلك الحديث ؛ فإنّ الله - تعالى - إذا جاز أن يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله، جاز أن يعذب الميت ابتداءً ببكاء أهله)).²³
وكانت العرب من عاداتها أنها توصي بالنعي والنياحة حالة الموت؛ ومن ذلك وصية طرفة بن العبد لزوجته قائلاً :

إذا مت فاتعيني بما أنا أهله ** وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد²⁴
أما النووي فيقول : " وأجمعوا كلّهم على اختلاف مذهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوتٍ ونيّاحةٍ لا مجرد دمع العين " انتهى²⁵ .

فوائد لها صلة بتحرير موطن الاختلاف في فهم الحديث :

1 - أن الأحاديث الصحيحة التي صحت عن رسول الله ﷺ لا ترد بالاجتهاد، فكيف بالمتواتر.

²² تفسير القرطبي - (231/10). لما تناول تفسير قوله تعالى : وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا .

²³ اللباب في علوم الكتاب أبو حفص عمر بن عليّ الدمشقي (12 / 231).

²⁴ تفسير السراج المنير محمد بن أحمد الشربيني (2 / 227) .

²⁵ شرح النووي : 6 / 229.



- 2 - تقول القاعدة : من حفظ حجة على من لم يحفظ، وهؤلاء طائفة من الصحابة نقلوا حديث الباب عن رسول الله ﷺ.
- 3 - أحاديث الباب وردت بعدة ألفاظ لتكرار صدور هذا الحديث عن رسول الله ﷺ؛ والحالة أنه ينبغي العمل على الجمع بين الأحاديث و الروايات الصحيحة وإعمالها ما أمكن إلى ذلك.
- 4 - حمل الحديث على أنه حادثة عين تختص بيهودية ولا يتعداها إلى غيرها كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، محمل جيد إلا أنه غير مقنع لوجود أحاديث أخر وروايات أخر في الباب تعمم.
- 5 - أفعال رسول الله ﷺ خير مبین لمعنى الحديث وخير سبيل لبيان الجمع بين الروايات.
- 6 - البكاء على الميت يطلق على البكاء وحده، ويطلق على البكاء الذي يصاحبه عويل أو نوح أو لطم للوجه وشق للجيوب ومدح للميت بما لم يكن فيه.
- خ - عادة النعي والنوح عند العرب عادة متفشية فيهم، ولا يشرح الحديث بمعزل عن هذه العادة.

الخلاصة :

- حديث : "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه" صحيح لا غبار على صحته.
- يجب حمل معنى الحديث على البكاء الذي يصاحبه نوح أو عويل أو شق للجيوب أولطم للخدود.
- ثبت في عدد كثير من الأحاديث بكاء رسول الله ﷺ على طائفة ممن حضر موتهم؛ وقد سقت بعض هذه الأحاديث لبيان أن فعله ﷺ خير مبین لمعنى الحديث؛ فالبكاء الذي لا يصاحبه أمرٌ منهي عنه؛ مسموح به، بل هو دليل على ما في قلب الباكي من رحمة لقوله ﷺ : (إنما يرحم الله من عباده الرحماء).²⁶؛ بل وقوله ﷺ هذا مشعر بما في قلبه ﷺ من رحمة، وهي صفة محمودة معللة بأن الله إنما يرحم من عباده الرحماء.

ولما أنهيت تحرير الجواب عن معنى الحديث اطلعت على كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية في الموضوع أحببت أن أنقله للفائدة :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية : هل يؤذي الميت البكاء عليه؟ فأجاب :
(فهذه مسألة فيها نزاع بين السلف والخلف والعلماء والصواب أنه يتأذى بالبكاء عليه، كما نطقت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه).
وفي لفظ : (من ينج عليه يعذب بما ينج عليه).
وفي الحديث الصحيح أن عبد الله بن رواحة لما أغمي عليه جعلت أخته تندب، وتقول: وأعضداه، وأناصره، فلما أفاق قال: ما قلت لي شيئاً إلا قيل لي: أذكلك أنت؟ وقد أنكرك طوائف من السلف والخلف، واعتقدوا أن ذلك من باب تعذيب

²⁶ صحيح البخاري - كتاب التوحيد. باب ما جاء في قول الله تعالى : إن رحمة الله - حديث : 7031



الإنسان بذنب غيره، فهو مخالف لقوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} ثُمَّ تَنَوَّعَتْ طُرُقُهُمْ فِي تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ غَلَطَ الرِّوَاةَ لَهَا، كَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِ. وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ عَائِشَةُ، وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا إِذَا أَوْصَىٰ بِهِ فَيُعَذَّبُ عَلَىٰ إِيصَانِهِ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ: كَالْمُرْنِيِّ، وَغَيْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى مَا إِذَا كَانَتْ عَادَتُهُمْ، فَيُعَذَّبُ عَلَىٰ تَرْكِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ طَائِفَةٍ: مِنْهُمْ جَدِّي أَبُو الْبَرَكَاتِ وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ ضَعِيفَةٌ جَدًّا. وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ الَّتِي يَرَوِيهَا مِثْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَغَيْرِهِمْ لَا تُرَدُّ بِمِثْلِ هَذَا. وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَهَا مِثْلُ هَذَا نَظَائِرُ تُرَدُّ الْحَدِيثَ بِنَوْعٍ مِنَ التَّأْوِيلِ وَالْإِجْتِهَادِ لِإِعْتِقَادِهَا بِظُلْمِ مَعْنَاهُ، وَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا الْبَابَ وَجَدَ هَذَا الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ الصَّرِيحَ الَّذِي يَرَوِيهِ الثَّقَّةُ لَا يَرُدُّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا كَانَ مُخْطِئًا.

وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَوَتْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَفْظَيْنِ - وَهِيَ الصَّادِقَةُ فِيمَا نَقَلْتُهُ - فَرَوَتْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ: {إِنَّ اللَّهَ لِيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ} وَهَذَا مُوَافِقٌ لِحَدِيثِ عُمَرَ، فَإِنَّهُ إِذَا جَازَ أَنْ يَزِيدَهُ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، جَازَ أَنْ يُعَذَّبَ غَيْرُهُ ابْتِدَاءً بِبُكَاءِ أَهْلِهِ؛ وَلِهَذَا رَدَّ الشَّافِعِيُّ فِي مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ هَذَا الْحَدِيثَ نَظْرًا إِلَى الْمَعْنَى. وَقَالَ: الْأَشْبَهُ رَوَيْتُهَا الْآخَرَى: (إِنَّهُمْ يَبْكُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ).

وَالَّذِينَ أَقْرَأُوا هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى مُقْتَضَاهُ، ظَنُّوا بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ عُقُوبَةِ الْإِنْسَانِ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يَرِيدُ. وَاعْتَقَدَ هَؤُلَاءِ أَنَّ اللَّهَ يُعَاقِبُ الْإِنْسَانَ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، فَجَوَّزُوا أَنْ يَدْخُلُوا أَوْلَادَ الْكُفَّارِ النَّارَ بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَهُ طَوَائِفُ مُنْتَسِبَةٍ إِلَى السُّنَّةِ، فَالَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ عَصَاهُ. كَمَا قَالَ: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} فَلَا بُدَّ أَنْ يَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ، فَإِذَا امْتَلَأَتْ لَمْ يَكُنْ لِعَيْرِهِمْ فِيهَا مَوْضِعٌ، فَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ إِبْلِيسَ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ)). انتهى²⁷